وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذًا بلا كلفة كقوله
وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية . وآخر دعواهم وخاتمة
دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا الحمد لله رب العالمين . ومعنى وتحيتهم
فيها سلام أن بعضهم يحيي بعضًا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة
إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول وقيل تحية الله إياهم وأن هي المخففة
من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله على أن الضمير للشأن كقوله
أن هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ أن الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد
أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير وضع استعجالهم بالخير
موضع تعجيله لهم الخير إشعارًا بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم
حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر — أي كما استعجلوا عجلوا بلا تأخير
علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما
نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه . لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا
وقرئ لقضى إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو لابن عامر ويعقوب وتنصره قراءة عبد الله
لقضينا إليهم أجلهم فإن قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين
لا يرجون لقاءنا وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي
التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم
في طغيانهم أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزامًا
للحجة عليهم . لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين أعني دعانا عليه
مضطجعًا أو قاعدًا أو قائمًا فإن قلت فما فائدة ذكر هذه الأحوال — بدليل ... على جنوبهم أي مضطجعين
قلت معناه أن المضرور لا يزال داعيًا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول
عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحًا عاجزًا عن النهوض متخاذل

أي النهوض بالثقل أي الجهد والمشقة

النوء أو كان قاعدًا لا يقدر على القيام أو كان قائمًا لا يطيق المشي والمضطر وإلى
أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز أن — تعالى عليه مسحة من جمال
يراد أن من المضرورين من هو أشد حالًا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو
أخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون
عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس . مر أي مضى على
طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال
والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به . كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشأن قال كأن ثدياه حقان . كذلك مثل ذلك التزيين
زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته أو الله عز وجل بخذلانه وتخليته
ما كانوا يعملون من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات . لما ظلموا
لأهلكنا والواو في وجاءتهم للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم
بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات . وقوله وما كانوا ليؤمنوا
يجوز أن يكون عطفًا على ظلموا وأن يكون اعتراضًا للتأكيد واللام لتأكيد
النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقًا تأكيدًا لنفي إيمانهم وأن الله
قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم
والمعنى أن السبب في إهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله أنه لا فائدة
في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل . كذلك مثل ذلك الجزاء
يعني الإهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم — جرم وأجرم واجترم بمعنى
بتكذيب رسول الله وقرئ يجزي بالياء . ثم جعلناكم الخطاب للذين
بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي
أهلكنا . لننظر أتعملون خيرًا أو شرًا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف